تطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين 1914-1922 م *

أ. د. جهاد شعبان البطش **

* تاريخ التسليم: 27/ 5/ 2015م، تاريخ القبول: 22/ 7/ 2015م.
** أستاذ/ نائب الرئيس لشؤون قطاع غزة/ جامعة القدس المفتوحة/ غزة.

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين 1914 – 1922م، حيث بداية الحرب العالمية الأولى، حتى مصادقة عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني على فلسطين، وقد حملت هذه القيادات فكراً سياسياً تمثلت معالمه برؤية الاستقلال عن الدولة العثمانية في إطار المسعى العربي، والوحدة مع سوريا، هذا إضافة إلى بوادر تطور هذا الفكر باتجاه الوعي لمخاطر البرنامج الصهيوني، والهجرة اليهودية، وانتقال الأراضي لليهود، إذ مارست القيادات المسيحية العمل السياسي بالمشاركة مع القيادات الإسلامية بمنطلقاتها العائلية، وهذا ما تميز به العمل السياسي للقيادات المسيحية الذي تجنب العائلية، وتمت الاستعاضة عن ذلك من خلال تكوين الجمعيات والأطر الأخرى التي مثلت عرب فلسطين في كثير من وسائل العمل السياسي، وفوق ذلك فإنهم كانوا جزءاً من قيادة الجماهير، وممن يوجه العمل المباشر، وأنهم امتنعوا عن تشكيل أي حزب أو تشكيل مسيحي خاص رغم تشجيع بريطانيا لهم، وظل فكرهم السياسي يتطور بفعل الأحداث.

The Development of the Political Thought of the Christian Leaders in Palestine from 1914 to 1922

Abstract:

This study is about the development of the political thought of the Christian leaders in Palestine (1914- 1922) , that is, from the beginning of the World War 1 until the authentication of the League of Nations of the British Mandate on Palestine. These Christian leaders adopted a political ideology that represented its own characteristics in seeing independence from the Ottoman Empire in the framework of the Arab endeavor and the unity with Syria. It was possible to see the development of this ideology through the awareness of the dangers of the Zionist program, the Jewish immigration and the transfer of land to the Jews. The Christian leaders had practiced the political work in partnership with the Islamic leaders whose allegiance to certain families is their priority. The political work of Christian leaders avoided family power and replaced it with the formation of other associations and frameworks that represented the Arabs of Palestine, in addition to that they were part of the leadership of the masses, who guided the direct action. They refused to form any party with a Christian religious background which British encouraged, and so their political thought continued to develop.

مقدمة:

تتطرق هذه الدراسة لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين في الفترة من 1914 – 1922م، وتكمن أهمية الدراسة في أن الدولة العثمانية مارست القمع ضد الوطنيين العرب، وكانت القيادات المسيحية جزءاً من هذا النسيج الوطني، وأن بريطانيا حاولت سلخ القيادات المسيحية عن مجموع القيادات الفلسطينية، لكنها فشلت في ذلك، وبمجيء الاحتلال البريطاني طرأ تطور في الفكر السياسي لهذه القيادات استطاعت من خلاله معارضة المشروع الصهيوني، وسياسة الانتداب، ومشاركة عرب فلسطين في فعالياتهم كافة.

تجيب الدراسة عن سؤال رئيس وهو: ما التطور الذي شهده الفكر السياسي للقيادات المسيحية خلال فترة الدراسة؟ وتهدف الدراسة إلى إعطاء صورة موجزة عن أحوال المسيحيين وبخاصة السياسية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وإيضاح تطور أفكارهم تجاه الثورة العربية الكبرى، والاحتلال البريطاني لفلسطين، وكذلك إيضاح خطابهم السياسي تجاه استقلال فلسطين من خلال الوحدة مع سوريا، وتوضيح سلوكهم ودورهم كقيادات في العمل السياسي، والعمل المباشر.

استعان الباحث بالمنهج التحليلي التاريخي، حيث جُمعت المادة العلمية من المصادر القريبة، والمتخصصة، وقد تم دراستها وتحليلها ثم الخروج بنتائج واقعية.

قُسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام؛ أولها: تناول وضع المسيحيين، وقياداتهم، وفكرهم السياسي خلال السنوات التي سبقت بداية الحرب العالمية الأولى، وتم التطرق في القسم الثاني: لتطور هذا الفكر السياسي حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين، والموقف من الثورة العربية الكبرى، ووعد بلفور، وموقفهم من الاحتلال، وقد تعرّضنا في القسم الثالث: لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية من خلال تحليل موقفهم، ودورهم في العمل السياسي، وكذلك بالعمل المباشر حتى عام 1922م وهو عام مصادقة عصبة الأمم على صك الانتداب على فلسطين.

استخدم الباحث جملة متنوعة من المصادر والمراجع أهمها: الوثائق المنشورة، وغير المنشورة، وكذلك البيانات الصادرة عن القيادات المسيحية، ولجانها، وجمعياتها، وكذلك مذكرات بعض هذه القيادات، وبعض الكتب الحديثة التي درست، وحللت تطور هذا الفكر،

فيما توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمحورت في غالبيتها حول تطور مراحل الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين فترة الدراسة.

تعايش المسيحيون في ظل الدولة العثمانية وقوانينها، وتعاملوا مع نمط الحياة مع المسلمين في فلسطين، ومع مرور السنوات أصبحت دائرة الانتماء تسير تباعاً من الدائرة الأوسع إلى الأضيق ضمن مجموعة دوائر الانتماء إلى الأمة الإسلامية، فالعثمانية، فالعربية، فالفلسطينية، حيث كانت تنحو هذا المنحى، ومنهم القيادات المسيحية.

وقد شكّل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدايات الوعي السياسي للقيادات العربية في بلاد الشام، ومن ضمنها فلسطين، حيث لم تكن معالم هذا الوعي يحددها الخطاب الديني فقط، إنما بدأ المفهوم الوطني يطغى على ذلك، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تقارير القنصل البريطاني في القدس جيمس فن James Finn [1] التي رفعها إلى رئاسته في العقد السادس من القرن التاسع عشر، حيث تكررت فيها عبارات أن هناك إرهاصات وتباشير وعي سياسي بين العرب في فلسطين، وكان يركز على نظرتهم إلى الدولة العثمانية– التي عبّر عنها بلفظ الأتراك– بأن الخلافة الإسلامية ليست من حقهم، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك باعتبار فهم العرب الفلسطينيين للاستقلال الوطني هو الاستقلال عن الأتراك (Encyclopedia Judaica, 1972, 130).كانت القيادات المسيحية تحمل المفهوم نفسه، هذا إذا تجاوزنا الحيادية الدينية، والتي عكْسها يعني الميل المسيحي غير المتفق مع النظرة الإسلامية.

مثّل هذا الوعي تلاقياً مع صراع آخر من المؤكد أنه سيفرز قيادات مسيحية جديدة، وهو الصراع الطائفي الداخلي للمسيحيين في بلاد الشام وفي فلسطين بخاصة، حيث اتخذت انطلاقة الأرثوذكس الوطنيين شكل تمرد وعصيان مع الرئاسة الروحية اليونانية لهم عام 1860م، ونتج عنها قيام الحركة الأرثوذكسية العربية التي قادتها السلطات العثمانية إلى أبعد الحدود، وهذا حتماً سيؤدي إلى تجمع هؤلاء الأرثوذكس نحو الانتماء العربي (الغوري، 1973، 15) ، ويترك هذا الانتماء المسيحي للعروبة أثراً تجاه القضايا الفلسطينية الوطنية حتى إلى ما بعد فترة الدراسة.

أولاً ـ أوضاع السكان المسيحيين في فلسطين قبل عام 1914م:

تشير الأرقام الواردة في الإحصاءات التي تناقلتها المصادر المختلفة إلى أن المسيحيين في فلسطين شكّلوا– بشكل دائم– الديانة الثانية التي يدين بها السكان العرب، وأنه لم يكن انتشارهم في فلسطين موزعاً بنسب واحدة في المدن الفلسطينية، وكذلك فإنهم تعرضوا للزيادة والنقصان، وكل هذا كان بفعل عوامل أهمها: الظروف السياسية، حيث

أفرزت هذه الظروف طليعة مثّلت نخبة من القيادات المسيحية في مختلف المجالات أهمها: الأدبية، والاجتماعية، والسياسية، واستطاعوا أن يندمجوا في الحياة السياسية وبدون تخطيط، وذلك أُسوة ببقية القيادات الفلسطينية من المسلمين، بل إن هذه القيادات المنحدرة من المسيحيين تمكنوا من إثبات وجودهم بنسبة التأثير بنظام سياسي غير متكامل يفوق نسبة عدد المسيحيين في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة.

ـ التطور الديمغرافي للمسيحيين في فلسطين حتى الحرب العالمية الأولى:

تفيد المصادر التاريخية أنه في العام 1894م كان عدد الفلسطينيين حوالي (322،338) نسمة، شكّل المسيحيون منهم حوالي (42871) نسمة؛ أي حوالي (13.3) % من مجموع السكان الفلسطينيين، ولم يكن آنذاك أكثر من (40،000) يهودي؛ أي ما نسبته (9.3) % من مجموع السكان الفلسطينيين (Sabella, 2005.32)، (هذا حسب المصادر الأجنبية التي ربما بالغت في الأمر) وهذا يعني أن المسيحيين كانوا حتى ذلك العام يفوقون عدد اليهود، هذا على الرغم من السياسة العثمانية تجاه الطائفتين في فلسطين.

لم تكن هذه النسبة عادلة الانتشار في فلسطين، فقد كانت القدس تمثل المركز السياسي للفلسطينيين إن لم يكن حتى للسلطات العثمانية أو البريطانية فيما بعد، ومركز نشاط اليهود والمسيحيين أيضاً، وبالتالي كانت نسبة الانتشار المسيحي فيها تتميز عن المدن والمناطق الفلسطينية الأخرى، فقد قُدّر عدد سكان القدس عام 1840م ما مجموعه (11،000) نسمة، كان منهم (3،350) يهودياً، وارتفع عدد المسلمين حتى عام 1880م ليصل إلى (13،000) نسمة تقريباً (الداوود، 2009، 29) ، وربما تعود هذه الزيادة الكبيرة في أعداد المسيحيين إلى البعثات التي كانت ترسلها الكنائس الغربية من كاثوليكية وبروتستانت إلى القدس، والتي تمخض عنها إقامة كنائس جديدة، وطبيعي أن يتبع ذلك مدارس، ومعاهد، وعيادات، والذي بدوره يشجع على الاستقرار لتوفر عوامل البقاء، بل تشجيع الآتين من الغرب على البقاء أمام عدم معارضة من الدولة العثمانية نتيجة اتفاقياتها المعروفة مع الدول الغربية، والتي كانت تتضمن التغلغل الغربي للقدس تحت شعار رعاية المسيحيين.

وقد كان عدد سكان فلسطين العرب (مسلمين ومسيحيين) عام 1914م؛ أي في بداية الحرب العالمية الأولى حوالي (750،000) ألف نسمة؛ أي (93) % من مجموع السكان الكلي، وبلغ عدد اليهود منهم (56،000) نسمة؛ أي (7) % من المجموع الكلي، **وفي عام 1922 كانت الإحصائية الرسمية لإحصاء سلطات الانتداب**: (طنوس، 1982، 109)

مسلمون	757,182	%78
مسيحيون	87,950	%9.6
يهود	106,000	%11
آخرون	13,590	%1.4
المجموع	964,722	%100

لم تختلف المصادر العربية والأجنبية كثيراً في تقديرها لعدد المسيحيين في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة عام 1922م، وقد قدّرهم عارف العارف بحوالي (14،700) نسمة تقريباً في القدس مقابل (13،413) من المسلمين، وأن عدد المسيحيين في القدس زاد حتى عام 1944م بحوالي عشرة آلاف آخرين (العارف، 1961، 430) ، وهذا يعني أن المسيحيين كانوا في بداية الانتداب أكثر من عدد المسلمين في القدس، لكن هذا لا يعني أبداً أن هذه النسبة تندرج على بقية فلسطين.

وقد اتفق الباحثون في الغرب بعامة على الإحصائيات التي ساقها العارف في تقديره لأعداد المسيحيين في فلسطين عام 1922م، حيث أشاروا إلى الأرقام نفسها تقريباً، بل إنهم ذكروا أن المسيحيين بلغ عددهم عام 1931م حوالي (19،350) نسمة متقاربين من مجموع المسلمين البالغ (19،894) نسمة (Maguire, 1981, 97) وهذا يعني أنهم زادوا بنسبة الربع تقريباً بين الأعوام 1922م و1931م، وهنا يجب الإشارة إلى أن سلطات الانتداب حاولت في هذه الأعوام تشجيع المسيحيين، ودعمهم في محاولة منها لفصلهم عن الحركة الوطنية الفلسطينية، وهنا لا يمكن تجاهل أهمية الدراسة السكانية للمسيحيين في فلسطين وفي القدس بخاصة، كون أن مركز أنشطة القيادات المسيحية في الربع الأول من القرن العشرين كان في مدينة القدس، وكذلك فإن هذه الأعداد ستسهم- أيضاً- في تركيبة المؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، وحتى السياسية كالبلديات، والأندية، واللجان القومية، وقيادة الأحزاب التي كانت عادةً تحافظ على وجود العضو المسيحي فيها، ولكن ليس بالأهمية نفسها أو النسبة.

لم تكن هذه الإحصائيات مجرد أرقام، إنما كانت جزءاً من العرب الفلسطينيين الذين شكّلوا النسيج الاجتماعي في منطقه كانت من أكثر مناطق الشرق الأوسط سخونة، ولم يدخر المتصارعون أية ورقة إلا واستخدموها في هذا الصراع، ولم يكن المسيحيون إلا مكونا- أيضاً- له نظمه الفرعية في المذاهب، ويكاد يكون هذا ديدن الأديان كافة تقريباً، **فقد تكوّنت الطوائف المسيحية في فلسطين من:** (الداوود، 2009، 31)

أ. المسيحيين الشرقيين، وأهم مذاهبهم: (الأرثوذكس- السريان اليعاقبة- الأرمن الجورجيون- الأقباط- الأحباش) ، وكان عددهم في إحصاء عام 1922م (18،200) نسمة تقريباً.

ب. المسيحيين الغربيين، وأهم مذاهبهم: (اللاتين- الروم الكاثوليك- الأرمن الكاثوليك- السريان الكاثوليك- الكلدان الكاثوليك) .

ومن الثابت أن العنصر الغربي من المسيحيين في فلسطين، وعلى مر مئات السنين ظل مسيطراً على طليعة المسيحيين ونخبتهم، أو ما عُرف بالعنصر اليوناني المناقض تماماً للعنصر العربي الذي ينتمي إليه المسيحيون الشرقيون الأرثوذكس، الذين- وحسب السياسة العثمانية في فلسطين- لم يكن لهم إلا فتات الوظائف الدينية.

- الخلافات المذهبية المسيحية في فلسطين:

كانت أولى المعالم لتشكيل فكرة وطنية لدى المسيحيين قد ارتبطت بعناصر عدة أهمها: الأرثوذكس، وعروبتهم، وحقوقهم، وأحقيتهم بالرعاية المسيحية بعامة في فلسطين، ويكون لهم رؤية ومضمون ووجود فكر سياسي مكون من نواة اجتماعية، ولولا ذلك لما حصلت ما أسماه الأرثوذكس العرب في فلسطين بالانتفاضة الوطنية للأرثوذكس عام 1860م، وعده الآخرون تمرداً (Maguire, 1981, 112)، صحيح أنه لم ينجح في تحقيق الفكرة التي أشرنا إليها بسبب مساندة السلطات العثمانية لليونان الذين اعتمدوا على تأييد هذه السلطات، فقد صدر أول تشريع خاص بالبطريركية عام 1875م، وظل هذا القانون الأساسي للبطريركية حتى بعد فترة الدراسة، إذ لم يشكل الوجود العربي الأرثوذكس ثقلاً كافياً، ولم يحصل على دعم من السلطات الحاكمة، هذا بالرغم من أن القانون قد حسّن ولو قليلاً في موارده من وضع الأرثوذكس في النظارة العليا التي رأسها البطريرك، والتي جعل نصفها من الرهبان اليونان والكهنة العرب، والنصف الآخر من العلمانيين العرب، ومهمتهم جميعاً الإدارة المشتركة، وقد كانت ردّة فِعْل رجال الدين اليونانيين على ما أسموه بتحيز البطريرك نيقوديموس للمسيحيين العرب، فقاموا بإطلاق النار عليه عام 1890م (الغوري، 2009، 13) ، وهذا يُشير إلى أن الصراع المذهبي لدى المسيحيين في فلسطين قد أسهم في إيجاد قيادات حملت هذه الفكرة، وسنلاحظ خلال الدراسة كيف استطاعت هذه القيادات تحويل بوصلة هذه الصراعات المذهبية إلى مساندة القضية الوطنية الفلسطينية.

دخل القرن العشرون، وبدت معالم أن قرار تسيير الطوائف المسيحية يتم بأيدي قيادات ليست بالضرورة أن تكون دينية، وأن فكرة حقوق العنصر العربي، وسيطرة العنصر الغربي هي أساس اختلاف الفكرة على الأرض.

ومثّل دستور 1908م العثماني دفعة لزيادة حدة الخلاف بين المذهبين، وبالرغم من أن مواد الدستور لم تحقق كل مطالب القيادات المسيحية الأرثوذكس العرب، فإن رجال الدين اليونان انقلبوا على هذه المواد وتنفيذها بطريقة مغايرة، فكانت ردّة فعل الأرثوذكس بخروج مظاهرات في أغلب المدن الفلسطينية واستيلائهم على دار البطريركية المقدسة وأغلب الأديرة، بل فرضوا الصلاة باللغة العربية، فما كان من ردّة فعل السلطات العثمانية إلا القمع، وهبَّ المسلمون لمساندة الأرثوذكس العرب، وشاركوهم المظاهرات، وحملوا شعاراتهم، وكان على رأسهم الشيخ موسى كاظم الحسيني [2] (طنوس، 1982، 112).

يمكن الاستدلال من أحداث عامي 1908 – 1909م بين الطوائف المسيحية أن هناك مستجدات عدة لم تكن من قبل، أهمها: قدرة القيادات المسيحية الأرثوذكسية العرب التأثير على بنود الدستور العثماني 1908م والذي حسّن من وضع طائفتهم في تشكيل ما أسماه الدستور الكنيسة الشرقية، وكذلك قدرة هذه القيادات– والتي لم تكن دينية بحتة– السيطرة على الأرض، وتأثيرهم المباشر باحتلال بيوت القيادة المسيحية ومراكزها أي أنهم يتمتعون بشعبية واسعة في الوسط المسيحي، إضافة إلى أن مشاركة المسلمين مع طائفة معينة يؤكد أن هناك تنسيقاً بين قيادات مسيحية وإسلامية.

لقد كانت نتيجة هذه الثورة الأرثوذكسية الموجهة من قيادات جلّها إن لم يكن جميعها من العرب الفلسطينيين أن تم تشكيل المجلس المختلط، وذلك عام 1910م، واستمر الأمر حتى احتلال فلسطين من قِبل بريطانيا، وبمساعدة سلطات الاحتلال تم تغيير نمط المجمع ليعود العنصر اليوناني للسيطرة، وفي عام 1921م قامت هذه السلطات بإصدار قانون البطريركية الأرثوذكسية لعام 1921م، والذي لم يراعِ أيضاً حقوق الأرثوذكس العرب (الغوري، 2009، 36).

أدت أحداث الخلاف المذهبي بين الطوائف المسيحية في فلسطين إلى إبراز قيادات مسيحية سرعان ما استطاعت الانخراط في الحركة الوطنية الفلسطينية، وذلك بفهمهم للهموم الوطنية ولمشكلات الشعب بعامة، ويمكن فهم ذلك من خلال تصريحات الرهبان حول أخطر قضية كان يشعر الجميع بنذير انفجارها وتمددها، وهي الخطر الصهيوني، وتزايد قدوم اليهود إلى فلسطين.

لقد نشر الأب هنري لامنس اليسوعي مقالاً مهماً عام 1899م في مجلة المشرف بعنوان: "اليهود في فلسطين ومستعمراتهم"، تحدّث فيها عن انتشار اليهود في فلسطين، وحثّ السلطات العثمانية على مواجهة هذا النشاط الصهيوني (محافظة، الفكر، 1989، 20)، وهذا يعني أنه رجل دين ومهم، وهو من الكاثوليك، ويتمتع بموقف مناهض للصهيونية،

وهذا يعني أن قيادات مسيحية دينية أو علمانية من الأرثوذكس سيكون موقفهم أكثر وضوحاً، بل سيدخل داخل الإحساس الوطني، وليس حبيس الدائرة الدينية.

ـ موقف القيادات المسيحية من النشاط الصهيوني أواخر الدولة العثمانية:

أثارت كلمات نجيب عازوري (وهو من الوطنيين المعروفين) في كتابه «يقظة الأمة تجاه الخطر الصهيوني» اهتماماً بالغاً، حيث أشار إلى حتمية الصراع بين الحركة الصهيونية، والحركة القومية العربية، ودعا إلى يقظة الأمة العربية تجاه هذا الخطر (عازوري، 1975، 42) ، ويمكن هنا ملاحظة كم ستترك فكرة رجل مسيحي آثاراً لدى القيادات المسيحية؛ لأن كتابه هذا أصبح ما تضمنه من فكرة مقاومة الصهيونية بمثابة فكرة وطنية رددها القادة المسيحيون فيما بعد، وأصبحت بمثابة الخطاب الوطني المسيحي الذي يوجه سلوكهم بغض النظر عن الخلافات المذهبية، ولا أعتقد أنه حتى ذلك الحين كان هناك خطاب عربي موحد للقيادات الإسلامية في فلسطين، أي له مرجعية ككتاب عازوري هذا.

لقد تركت هذه الفكرة الوطنية أثراً في تلاحم المسيحيين ليس القيادات فقط، بل عموم الناس تجاه اليهود، وليس حتى الصهيونية فقط؛ لأن العامة كما يبدو لم يفرقوا في ذلك الحين بين اليهودي والصهيوني، ويمكن فهم ذلك من خلال المعاملة اليومية، والعلاقات التي بدأ توترها يظهر جلياً، ويزداد ساعة بساعة بين اليهود والعرب في الشارع الفلسطيني وبخاصة في القدس، فيمكن أن نرى تحريضاً من القيادات المسيحية لمعاملة اليهود حتى في الشوارع والأحياء التي يقطنها المسيحيون، كالتضييق عليهم لدى مرورهم في الشوارع، والشتائم التي توجه لهم من قِبل الأطفال (الغوري، 1973، 13) ، وهذا يعني أن قيماً ثقافية وطنية شُكّلت لدى القيادات المسيحية تم تشريبها للعموم المسيحي، لكنه يعدّ بعيداً عن موقف هو في حد ذاته دور وطني يمكن إضافته لكل الوطن الذي يشكل الحركة الوطنية الفلسطينية بغض النظر عن مدى ترتيبها وتنظيمها.

لقد أوضح خليل السكاكيني [3] (وهو أحد قادة الأدب بين المسيحيين الفلسطينيين) الخطر الصهيوني على فلسطين، وعلى الأمة العربية، بل إنه كان يذكر كرهه للصهيونية، ويشرح أسباب ذلك من باب قومي عربي، ويسوق ذلك على أن الصهيونية باحتلالها فلسطين ستحول دون تواصل الأمة العربية في الشام، والجزيرة العربية، وأفريقيا (السكاكيني، 1955، 64) ، وهذا يعني أن الموقف من الصهيونية ورفضه أصبح موحداً بين القيادات المسيحية سواء أكانت الدينية، أم السياسية، أم الأدباء والكتاب.

وبالرغم من أنه لم يكن هناك مظهر حقيقي لوجود حزب أو تجمع للقيادات المسيحية، فإنه في بداية القرن العشرين وبفعل التطورات الذاتية والموضوعية للفلسطينيين كانت تلك

الأحداث التي تجري في الدولة العثمانية نفسها كفيلة ببلورة فكرة تعطي شيئاً من الشعور بالقومية العربية من المؤكد أن المشاعر المشابهة لها من جانب الأتراك كانت ستتعارض تماماً معها.

من البدهي أن السواد الأعظم إن لم يكن جل القيادات المسيحية ستنتمي إلى التيار القومي، وليس إلى التركي، ولسنا بصدد الحديث عن التباين الديني بين المسيحيين الأتراك، وعليه فعندما تشكلت جمعية الإخاء العربي العثماني في الاستانة كان من مؤسسيها اثنان من القدس، وعندما تأسس لها فرع في القدس لم يكن من الغرابة أن يكون نصفها من القيادات المسيحية (الحوت، 1974، 117 – 118) ، وقد كان هذا الاندفاع نحو المشاركة في هذه الجمعية هو تلك المشاعر القومية التي استدرجتها أدبيات هذه الجمعية التي سعت لإعلاء شأن العرب، واللغة العربية ضمن الدولة العثمانية ككل، بل يمكن أن نرى أهداف الجمعية التي تسعى لمساعدة الفقراء والمرضى العرب وإعانتهم.

من الواضح هنا المشاركة المسيحية الواسعة والفعّالة في هذه الجمعية، حيث لم تكن أي مسافة بُعْد بين القيادات المسيحية والإسلامية، بل كان الجميع يعمل من خلال خطاب واحد يأخذ شكل العمل القومي الذي سرعان ما توسعت الهوّة بينه، وبين نشاط الاتحاديين الذين ما أن علا شأنهم حتى أُغلقت هذه الجمعية عقب الانقلاب مطلع عام 1909م (محافظة، 1989، 16) .

ثانياً ـ اتجاهات القيادات المسيحية تجاه بريطانيا وتركيا عقب الحرب العالمية الأولى:

صحيح أنه عند نشوب الحرب العالمية الأولى كانت عامة الناس في فلسطين مازالت تؤيد الدولة العثمانية ورايتها الإسلامية، وبخاصة إن كانت ضد الإنجليز والفرنسيين، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تلك الأجواء التي سادت القدس عقب نشوب الحرب، والتي تميزت بالعناد والأهازيج، بل إقبال الرجال على الالتحاق بالجيش العثماني.وإن ما يعنينا هنا هو: هل كانت هذه الأجواء تسود نفوس القيادات المسيحية؟ ليس من المنصف إذا افترضنا أن القيادات المسيحية ستدعو إلى اللحاق بالجيش العثماني، بل أن السيد إيميل الغوري(4) وهو أحد القيادات المسيحية الفلسطينية يذكر: «أن المسيحيين لم يكونوا متحمسين للأتراك، وأن الطوائف التي كانت كلٌ منها باتجاه أحد دول الحلفاء، فالأرثوذكس نحو روسيا، واللاتين نحو فرنسا، والبروتستانت نحو إنجلترا (الغوري، 1973، 17) ، بل إن أهم مكان كانت تتجمع فيه القيادات المسيحية قد أغلق أبوابه بمحض إرادة قياداته المسيحية، وذلك بغرض عدم إثارة انتباه الأتراك؛ لأن المسيحيين وبلا شك راح كثيرون منهم يعمل في

صفوف الجيش البريطاني، بل إن عارف العارف يذهب إلى أبعد من ذلك عندما وصف كيف أن المسيحيين شكّلوا كيانات في المحطات التي كان الجيش البريطاني يفتحها، وبمجرد انتهاء الحرب قامت القيادات المسيحية بإعادة فتح مقر تجمعهم الذي يعود لجمعية الشبان المسيحيين (العارف، 1961، ج2، 153) .

ـ اتجاهات القيادات المسيحية تجاه تعهدات بريطانيا عامي 1916 و 1917م:

لقد مارست القيادات المسيحية أنشطتها هذه، والمؤكد أنها ليست مساندة للأتراك، بل تطورت وأخذت شكلاً مبكراً من أشكال التحريض ضد الالتحاق بالجيش العثماني أو التجنيد، حتى أصبحت ظاهرة في فلسطين بعامة، وفي القدس والجليل بخاصة (الغوري، 1973، 17) .**ومن هذا الدور يمكن استنتاج ما يأتي**:

- أدركت القيادات المسيحية في فلسطين في وقت مبكر أكثر من القيادات الإسلامية عدم صحة الاشتراك مع الدولة العثمانية في الحرب.
- تأثُّر القيادات المسيحية بتأييد الدولة التي تتشارك فيها بالطائفة.
- لم تشارك القيادات المسيحية أبداً الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

ويمكن القول هنا إن سنوات الحرب العالمية الأولى شهدت تنامياً في الشعور القومي العربي، وبدلاً من قيام الدولة العثمانية باستمالة العرب ومن ضمنهم أهل فلسطين، فإنهم ومن منظور القيادات المسيحية مارسوا القسوة على الفلسطينيين، وأدى ذلك إلى مقتل، أو أسر، وتعذيب، وإبعاد عدد من هذه القيادات، وقد جاءت الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين لتكمل تطابق الرأي والموقف تماماً بين القيادات الإسلامية والمسيحية في فلسطين تجاه الدولة العثمانية، وهذا ما أدى إلى تعاطف بل اندماج المسيحيين في فلسطين في صفوف الثورة العربية الكبرى، بل إن القيادي المسيحي الفلسطيني خليل السكاكيني ذكر في مقالاته أن هذه الثورة كانت «تبّشر بزوال الظلم التركي عن فلسطين والشام» (السكاكيني، 1972، 17) ، وهذا مؤشر إلى أن المسيحيين لم يعيروا العامل الديني اهتماماً كبيراً في أثناء دخولهم الثورة العربية تحت إمرة الشريف حسين.

اتضح دور القيادات المسيحية من الثورة العربية ليس فقط عبر القيادات المجتمعية منها، بل لم يتوان المسيحيون، وبتحريض من غالبية قياداتهم عن الالتحاق بالثورة، وكانوا بارزين في مكتب التطوع التابع للثورة عام 1917م، حيث سجّل فيه المئات من الشبان المسيحيين لوضع أنفسهم تحت تصرف الأمير فيصل بن الحسين قائد الجيش الشمالي للثورة، فيما عدّ المؤرخون الصهاينة ذلك بمثابة تحريض على المشروع الصهيوني

(Gonny, 1987, 22)، وهنا تبدو المبالغة، وعدم الموضوعية في الموقف الصهيوني من هذا الأمر.

و ميّز الأتراك في كبحهم جماح الثورة في فلسطين القيادات المسيحية، مستغلين العامل الديني وحساسيته لدى العرب المسلمين، (وبرغم أن أعواد المشانق العثمانيين لم تفرق بين مسلم ومسيحي) فقد قبضوا على خليل السكاكيني على سبيل المثال، ونفوه إلى دمشق، وزجّوا به في السجن هناك، واستطاع بعض رجال الحركة الوطنية الفلسطينية بمساعدة سوريين تهريبه من السجن، وإخفاءه عن أنظار الأتراك في البادية حتى تم التحاقه بمعسكرات جيش الثورة قرب معان (الغوري، 1973، 124) ، ومن المؤكد أن هذا الحدث قد زاد من موقف ردود القيادات المسيحية تجاه الثورة العربية الكبرى.

وقد ثبت لدى المؤرخين أن الشريف حسين لم يكن يدرك تلك التفاهمات التي حصلت في سايكس بيكو قبل شهر تقريباً من تفاهماته مع المعتمد البريطاني في مصر السير مكماهون، لكن من المستبعد أن المنظمة الصهيونية كانت على الشاكلة نفسها، واهتم الباحثون الصهاينة في معرفة الجهات التي سبقت إلى اتخاذ موقف من سايكس بيكو بين العرب، وقد كانت القيادات المسيحية السبّاقة لذلك، وليس أدّل على ذلك من المقالات التي كتبها عازوري والتي تتطرق إلى الربط بين سايكس بيكو والمشروع الصهيوني، بل إنه حمّل المسئولية عن ذلك إلى تركيا (أفنيري، 1986، 102) ، وكانت سايكس بيكو حلقة من حلقات الموقف البريطاني تجاه فلسطين، وأحد تعهداتها تجاه فلسطين، والذي سيتبعها وعد بلفور.

وبالرغم من أن اتفاقية سايكس بيكو قد كُشِف النقاب عنها بعد مدة من الزمن، فإن القيادات المسيحية لم تألُ جهداً في تفسير ما حصل من زاوية مخاطرها على المشروع القومي العربي، ومن ثم من الصهيونية، وعدّوها "وثيقة منفصلة وأنها نتاج أسوأ الطمع، ونموذج مريع للضياع" (أنطونيوس، 1987، 116) ، ومن الواضح أن هذه نظرة تعكس خطر الوثيقة على الشعور القومي، وبالذات بلاد الشام، وكذلك تميزها بالخداع بغرض خدمة الصهيونية.

لقد كانت القيادات المسيحية أول من كشف العلاقة بين اتفاقية سايكس بيكو ووثيقة وعد بلفور، حيث كشف عزت طنوس (5) عن اقتراح السير مارك سايكس، وكان وكيل وزارة الحرب البريطانية، أنه من الممكن التعويل على اليهود الأمريكيين في إقناع الإدارة الأمريكية لدخول الحرب لمساندة الحلفاء إذا قامت هذه الأخيرة بوعد اليهود بفلسطين، وهذا الشخص كان الأكثر تحمساً بين الشخصيات البريطانية لهذه الفكرة (طنوس، 1982، 57)

، ويبدو أن الأمر كان منسقاً مع القادة الصهاينة في ذلك الحين، وإلا كيف تم تخريج الوعد عبر رسالة إلى البارون روتشلد آنذاك؟

حاولت بريطانيا وفور احتلالها لفلسطين تسهيل كل ما من شأنه تجميل صورة وعد بلفور، وقد تصدرت القيادات المسيحية الموقف الفلسطيني من الوعد عندما دعا الحاكم العسكري البريطاني مجموعة من القيادات الفلسطينية للاستماع إلى حاييم وايزمان (6) في القدس، والذي حاول طمأنتهم بكل السبل، فما كان من يعقوب فراج الذي عبّر عن استياء القيادات الفلسطينية جميعاً من كلمات وايزمان، وأنها تنم عن مطامع، بل إن القيادات المسيحية هي من اقترحت تنظيم الجهد العربي، وليس الفلسطيني فقط للتصدي للوعد، ورفض الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي (دروزة، 1982، مج1، 311) .

ـ موقف القيادات المسيحية من الاحتلال البريطاني لفلسطين:

وصلت القوات البريطانية لفلسطين في نهاية 1917م، ولم يكن الأمر سهلاً على الفلسطينيين، ومن المؤكد أن الدافع هو عاطفي وجداني متعلق بالمقارنة في نفوس هؤلاء الفلسطينيين بين الجيش غير المسلم المنتصر، وهو صديق الثورة العربية ممزوجاً بأمل الوفاء بوعده للشريف حسين في تفاهمات مع السير مكماهون، ومخلصاً لعذاب الأتراك وسلوكهم ضد الوطنيين العرب، وبين هزيمة جيش حافظ على العرب لأكثر من أربعة قرون من أخطاء متعددة، وممزوج بحزن لم يمر عليه شهران فقط، ألا وهو وعد بلفور.صحيح أن هذه المشاعر كانت تسري في نسيج عقول القيادات الإسلامية والمسيحية وقلوبهم، ولكن ترجيح الكفة في النهاية لن يتطابق بين هذه القيادات، ومهما تكن فقد حان الوقت لوضوح الصورتين، ففريق الغالبية من المسلمين– تقريباً– بدأوا يبدون الأسف على حكم عثماني إسلامي انهزم أمام الحلفاء، فهذا ضربة للإسلام ونصرة للمسيحية، وفريق آخر توهّم بأن هذا الاحتلال نصير للمسيحية، وأغلبه من المسيحيين (السكاكيني، 1972، 90) .ويمكن لنا أن نرى رأي القيادات المسيحية بالانحياز إلى الاستبشار بالاحتلال البريطاني بوصف إيميل الغوري بأن: «أبناء الطوائف المسيحية كانوا أشد أبناء القدس وبيت لحم حبوراً بوجود البريطانيين بالقدس» (الغوري، 1973، 30) ، ما يعني أن الفريقين لم يكونا– أيضاً– متطابقين في الموقف، أو حتى النظرة تجاه الأتراك.

لم تختلف المصادر المسيحية عن المصادر الأخرى في نقلها موقف القيادات الإسلامية من الاحتلال البريطاني، ولكن السؤال هل شاركت القيادات المسيحية القيادات الإسلامية الموقف نفسه؟ لا أعتقد ذلك، ويمكن أن يجد ذلك تعبيراً له من خلال عدم انسحاب القيادات المسيحية من حفل استقبال الجنرال إدموند اللنبي (7) في القدس عقب خطبته التي

تطرق فيها إلى اعتبار دخول قواته للقدس نهاية الحروب الصليبية (الغوري، 1973، 73) ، لكن ذلك لا يعني أن هذه القيادات المسيحية قد أصبحت حليفاً للبريطانيين، فليس هناك روايات تتناقض مع هذا المفهوم.

إن المتتبع لاحتفالات دخول البريطانيين للمدن الفلسطينية يدرك أن غالبية القيادات التي كانت ترحب بالبريطانيين هي من القيادات المسيحية لهذه المدن، إضافة إلى قيادات أخرى من المسلمين، وما يدل على ذلك كلمات هذه القيادات المسيحية كإسحق فانوس في حفل الرملة واللد، وخطبة يوسف العيسي في حفل يافا، واحتفال عكا الذي كاد أن يكون جميع القيادات الفلسطينية فيه من المسيحيين (خلة، 1974، 199) ، ومن المؤكد أن هذه الخطابات والكلمات ستترك أثراً في صناعة وتشكيل الموقف من الاحتلال البريطاني.

كان يمكن ملاحظة فتور الاحتفالات والسعادة بالنصر البريطاني، ودخول قواتهم إلى فلسطين يوماً بعد يوم، لكن يبدو أن الناس كانوا يتأثرون برأي قيادتهم، وكان من السهل رؤية مواسم الأعياد المسيحية (الميلاد، ورأس السنة، والطهور، والغطاس) لدى الطوائف المسيحية بعد بضعة أسابيع من الاحتلال، والناس يحتفلون بها على غير شاكلة الأعوام السابقة، فقد امتلأت القدس وبيت لحم بالآلاف من البريطانيين، والفرنسيين، والإيطاليين، وهم يحتفلون وينفقون الأموال بالتسوق، وكان المسيحيون يصفون ذلك بأنه نتيجة بركة الاحتلال البريطاني (الغوري، 1973، 31) .ويبدو أن هذه الآلاف هم من الجنود والعساكر، وليسوا من الحجاج، فليس من المعقول أن يأتوا للحج بهذه السرعة في وقت كانت بلادهم أصلاً مستعرة بالحروب، لكن يمكن اعتبار هذا التغير في طقوس الاحتفالات المسيحية نتيجة تغير الظروف، وموقف القيادات المسيحية تجاه هذا الاحتلال.

وقد بدا واضحاً أن موقف القيادات المسيحية تجاه الاحتلال البريطاني لم يكن ناتجاً كردة فعل على حدث معين أكثر مما هو قناعة لفكرة وممارستها، ما يعني أنه تطور ما بالفكر السياسي لهذه القيادات، وبخاصة إذا رأينا أن هذا التطور قد تغلغل في عقول غالبية القيادات المسيحية.

إن التعبير عن فكرة اجتماعية بحماسة تعني أنها ارتقت إلى دافعية ناتجة عن قناعات، وأنها ستأخذ تغيراً في سلوك هذه القيادات لتجميع هذه الأفكار في فكرة موحدة بين عدد من القيادات لممارسة فكر سياسي في حزب سياسي، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تكوين حزب عربي فلسطيني موالٍ لبريطانيا بمعنى الكلمة، وأن المتقدمين لتأسيسه هم من المثقفين الذين يحملون خلفيات مسيحية تبشيرية، وبرئاسة نجيب نصار (8) صاحب جريدة الكرمل، ولو أنها ضمت قيادات إسلامية، لكن في تشكيلها قيادة الحزب النهائية

كانت الصبغة المسيحية تطغى على هذا الحزب (الحوت، 1974، 85) ، ولا يمكن هنا نفي تقارب مواقف نجيب نصار والتي تجدّ تعبيراً لها في مواقف الصحيفة التي تعبر عن القرب من مواقف الاحتلال البريطاني.

صحيح أن الفكر السياسي لقادة حزب معين لا يمكن التعبير عنه أو رؤيته بشكل رئيس إلا من خلال أدبيات هذا الحزب التي عبّر عنها رئيسه نجيب نصار، والذي حاول إبراز أهداف حزبه بأنها خدمة لمصالح العرب الاجتماعية، والاقتصادية، ولجمع كلمتهم، بل عدّ أن هناك ربطاً بين الأمة العربية والأمة البريطانية، واستعرض فضائل بريطانيا على العرب في تخليصهم من الاحتلال التركي (جريدة الكرمل، 19/ 11/ 1918) .ولكن إلى أي حد سيستمر سلوك هذا الحزب؟ وبخاصة إذا اتسعت الهوّة بين ممارسات بريطانيا تجاه قضية فلسطين والمشروع الصهيوني.

كانت الإجراءات البريطانية تجاه العرب في فلسطين، وتجاه اليهود والصهاينة ليست على النسق نفسه، فهي مرتبطة بوعود تهم العرب عبر الشريف حسين وللصهاينة عبر وعد بلفور، لكن الظروف لم تكن نفسها قبل أعوام عدة؛ أي أن الالتزام مع الشريف حسين لم يعد ممكناً، بينما تزداد الحماسة لتنفيذ الوعود للصهاينة بإقامة وطن قومي في فلسطين، ومن المؤكد بأن القيادات المسيحية لن تقبل هذه المعادلة، وبهذا الوضوح.

ويمكن القول هنا إنه لم تكن ملامح الفكر السياسي للقيادات المسيحية ووعيهم لأهمية مناهضة الصهيونية فكراً ونشاطاً إلا من خلال اندماج هذا الفكر ضمن المكون الكلي للفكر السياسي لقيادات الحركة القومية العربية تجاه هذا الأمر، حتى وإن لم يكن ذلك ضمن أطر حزبية أو منظمة لهذه القيادات، ولم يكن هناك خلاف بين إدارات الدولة العثمانية سواء أكان في القدس، أم في الاستانة، وبين القيادات العربية حول النظرة العامة للصهيونية؛ لأنه ببساطة ستكون هذه السلطات هي المسئولة عن أية إجراءات تتخذ ضد النشاط الصهيوني في فلسطين.

وقد كان التعبير عن موقف التيارات المسيحية وحتى الإسلامية– أيضاً– يلزمه أطر اجتماعية أو سياسية لكي تنظم تجميع الفكرة تجاه الصهيونية، ويبدو أن بوابة معارضة المشروع الصهيوني ومناهضته كانت المدخل لإنشاء الجمعيات الإسلامية المسيحية، وكأنها توضح لبريطانيا أنها ليست ضدها، إنما ضد المشروع الصهيوني.

عدّ عزت طنوس أن استياء عرب فلسطين للنشاط الصهيوني لإقامة الوطن القومي لليهود هو السبب في بحث الفلسطينيين (مسلمون ومسيحيون) عن إطار يجمعهم بغض النظر عن الدين، أو أن ذلك استمراراً لتلك الوحدة التي نشأت قبل الاحتلال البريطاني

لفلسطين ضد تركيا (طنوس، 1982، 100) ، وهنا يريد إضفاء الوحدة الوطنية على هذه الحالة الوحدوية.

لم يكن إميل الغوري يبتعد عن هذا الاستنتاج، فقد عدّ تكوين الجمعيات الإسلامية المسيحية كرد فعل طبيعي ضد السياسة البريطانية الموالية للصهيونية، وضد نشاط البعثة الصهيونية في فلسطين (الغوري، 1955، 106) .ويلاحظ هنا في آراء القادة المسيحيين حرصهم الكبير على إبعاد العامل الطائفي عن صورة هدف إنشاء هذه الجمعيات.

تبدو الصورة من منظار بريطانيا تجاه هذه الجمعيات مغايراً تماماً، فهي لم تدعم أن تكون هذه الجمعيات بمثابة أداة أو وسيلة يتصدى فيها العرب– مسلمون ومسيحيون– للمشروع الصهيوني الذي التزمت بريطانيا بدعمه، ولم تكن هذه الفكرة هي الطاغية على الفكر السياسي لكل القيادات المسيحية، فهناك من ارتأى غير ذلك، وأنه من الممكن أن تكوّن بريطانيا غير هذه الصورة غير الحسنة، فحاولوا التقرب من بريطانيا، وبالتالي شهد الفكر السياسي خلال السنوات التي تلت وعد بلفور واحتلال بريطانيا لفلسطين موقفاً غير متطابق من قبل هذه القيادات، ويمكن فهم ذلك من خلال تعبير خليل السكاكيني الذي يصف فريقاً من القيادات المسيحية بقوله: «الصعاليك من ينتظر مجيء الإنجليز لتعتز النصرانية، بل إنه كان يهدد بأن بريطانيا لن تنجح في إفهام العالم الخارجي أن المسيحيين راضون عن هذا الاحتلال» (السكاكيني، 1955، 91) .

سعت بريطانيا إلى تأسيس جمعية «محبي القدس»؛ لتحاول إبراز صورة القيادات المسيحية الموالية للسياسة البريطانية، والتي حاولت إعلان هدفها على أنها ستحسن مدينة القدس عمرانياً وأثرياً؛ للمحافظة على قدسيتها، ولكن كان من الملفت أنها حقاً تضم شخصيات إنجليزية، وعربية، ويهودية، وأغلب العرب هم من المسيحيين (العارف، 1996، 386) .ويبدو أن هذا الأمر كان يشكل خطورة على الفهم العام للقيادات المسيحية في فكرهم السياسي تجاه القضية التي أصبحت تختص بها فلسطين سواءً أكانت الصهيونية، أم السلوك البريطاني.

وتميزت الأعوام 1918 و1919م من خلال مشاركة القيادات المسيحية في إحياء المناسبات الإسلامية، بل دعوتهم للمسيحيين بعامة للمشاركة في ذلك عبر كثير من النوادي التي أَسَست من قِبَل القيادات الإسلامية الشابة، وكان منها: النادي العربي الذي أسسه محمد أمين الحسيني (9) وبعض القيادات المسيحية أمثال: بولس شحادة (10) .وبطبيعة الحال لم تكن عائلة النشاشيبي «المنافسة» ببعيدة عن ذلك، فقد شكّلت هي الأخرى المنتدى الأدبي لتشارك فيها قيادات مسيحية أهمهم: صليب الجوزي، وتضمنت أدبيات الناديين

الوحدة مع سوريا، ومكافحة الصهيونية (الحوت، 1974، 87) .ويلاحظ هنا بدايات تنافس بين عائلتي النشاشيبي والحسيني في إطار سياسي شهد إيلاجاً للقيادات المسيحية بداخله، وأن أدبيات هذا الفكر لم تتضمن صراحة مناهضة الاحتلال البريطاني، مما سيسهم ذلك مستقبلاً في نسج علاقة الحركة الوطنية الفلسطينية بسلطات الانتداب.

لقد أسهمت هذه الجمعيات والنوادي في تقريب الفكر السياسي للقيادات المسيحية والإسلامية، بخاصة إذا ذكرنا أن المسيحيين شاركوا في إحياء مناسبات إسلامية أخذت الشكل الاجتماعي بل والديني أيضاً، وإلا فكيف تُفسر مشاركة عدد كبير من القيادات المسيحية في احتفالات النبي موسى (جبارة، 1995، 27) ، فهذا يعد صورة راقية من الوحدة ليس غرضها مجرد إحياء مناسبة كهذه، إنما إرهاصات فكر سياسي مشترك ستظهر نتائجه فيما بعد.

ـ دور الجمعيات المسيحية بتشكيل اتجاهات الفكر السياسي للقيادات المسيحية:

ليس من تخصص هذه الدراسة البحث في جملة تشكيل الجمعيات المسيحية، ولكن فقط مناقشة دور هذه الجمعيات في تشكيل الفكر السياسي للقيادات المسيحية وتطوره، وأن معرفة تاريخ تشكيل أول جمعية إسلامية مسيحية يعطي صورة عن الظروف التي تشكلت في ظلها؛ لأنها نبعت من فكر القيادات الإسلامية والمسيحية، وبغض النظر عن الروايات المختلفة لكيفية إنشاء هذه الجمعيات، فإن مصادر الدراسة لم تختلف على أن وعد بلفور وخطاب وايزمان فيما بعد أمام القيادات الفلسطينية كان سبباً مهماً في تشكيل إطار يُوحد الجهود التي ستقف في وجه المشروع الصهيوني (دروزة، 1980، 311) .

إن المتتبع للأسماء المشكلة لهذه الجمعية يمكن له أن يرى صورة جزئية للفكر السياسي للقيادات المسيحية، كأنطوني الغوري [11] وخليل السكاكيني، وإلياس مشبك، وجميعهم يحملون فكراً قومياً بعيداً عن النظرة الدينية، وكانوا سابقاً قد أشادوا بالثورة العربية الكبرى، وإن لم يشاركوا فيها فعلياً، وأن الرأي العام للقيادات المسيحية كان يدعمهم ويمتثل لتعليماتهم (الغوري، 1973، 37) .وقد كان التطور في الفكر السياسي للقيادات المسيحية– في موضوع تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية– هو إبراز فكرة زعماء حركة وطنية، وإيجاد إطار يمثل الفلسطينيين، وأن هذه الجمعية ليست عميلة لبريطانيا أو أنها على وفاق معها، وهذه أفكار أيضاً ستحدد مسار سلوك القيادات المسيحية فيما بعد.

سعت بريطانيا إلى فض أي مظهر للوحدة بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين، ويمكن القول إن بريطانيا لم تكن تتوقع هذه الوحدة بين الديانتين، وكانت تعوّل على عدم مشاركة المسيحيين للمسلمين مقارعة المشروع الصهيوني ودور بريطانيا فيه، وبالتالي

لعبت على وتر الديانة، حيث قام عدد من القساوسة البروتستانت البريطانيين ومطران القدس بنفسه، وهو بريطاني، ببذل جهود كبيرة للتأثير على القيادات المسيحية من بوابة أن بريطانيا تميزهم عن المسلمين.ومما يدل على أهمية هذا الأمر بالنسبة لبريطانيا أن استعانت بمطران بيروت المطران مبارك الموالي لفرنسا لأجل هذه الغاية، بل إنها توجهت لبابا الفاتيكان بنفسه ليسهم في إقناع المسيحيين في فلسطين بتغيير فكرهم السياسي الذي أصبح معادياً لبريطانيا (الغوري، 1973، 317) ، ويبدو أن توجههم للفاتيكان يعني أن الحكومة في بريطانيا نفسها بذلت هذا الجهد، فلا يعقل أن يقوم الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين بالاتصال بالبابا بهذا الشأن، مما يعني أهمية الأمر لدى بريطانيا.

حرصت القيادات المسيحية عند تشكيلها لهذه الجمعية أن تبعد الصفة الدينية عن الموضوع، ولم يكن تسميتها بالإسلامية المسيحية خيارها ولا حتى خيار القيادات الإسلامية تسميته «الجمعية العربية» وهي التي اقترحت أن تكون التسمية بالجمعية الإسلامية المسيحية (فايز، 1997، 139) .ويبدو أن ذلك مطلب بريطانيا، حيث كانت حريصة في خطابها في التعامل مع الفلسطينيين على أنهم من الطوائف غير اليهودية، وذلك كما ورد في وعد بلفور، وأن اسم الجمعية المرتبطة بالدين سيساعدها على إبراز الطائفية بالأمر، وافتراضها أن ذلك لن يستمر.

لقد تخوفت بريطانيا من مسألة الوفاق بين الفلسطينيين الذين تجاوزوا أمراً ليس بالسهل، وهو اختلاف الدين، وأن يتطور هذا الأمر إلى أن يعد العرب هذه الجمعية جهة ممثلة لهم، بفرض وحسب تصريحات مسؤولين حكوميين بريطانيين أن هذه الجمعية هي مقاومة للنشاط الصهيوني وبالذات انتقال الأراضي (أرشيف دولة إسرائيل، 1919) .ونستطيع القول إن هذا المفهوم لم يكن بعيداً عن فكر القيادات سواءً أكانت الإسلامية أم المسيحية، ولكن يُسجل هنا تحٌول كبير في الفكر السياسي للقيادات المسيحية الذي يحول تمثيل الفلسطينيين إلى جهة جديدة غير أعيان العائلات أو رؤساء البلديات، وكذلك فإن هذه الجهة تتجاوز الطائفية أو الدين، ما يعني أنه سيكون لها قاعدة جماهيرية واسعة.

ويمكن القول هنا إنه ثبت قطعاً بأن فكرة الاستجابة لجهود بريطانيا هو إبعاد القيادات المسيحية عن الفكر السياسي الفلسطيني العام، والذي كان توجهه نحو التعاون مع بريطانيا في دعم أو حتى مهادنة المشروع الصهيوني، وقد وجد ذلك تعبيراً له من خلال الانقلاب الذي حصل في الحزب العربي الموالي لبريطانيا، والذي كان أغلبيته من القيادات المسيحية، لكن ليس به أغلب القيادات المسيحية، حيث وجدت قيادات هذا الحزب نفسها معزولة تجاه حضورها المؤتمر الذي دعت إليه الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس في يناير 1919م بغرض تحديد الموقف من مؤتمر السلم الدولي الذي سيعقد قريباً

في باريس، حيث بذلت هذه القيادات المسيحية جهداً للحصول على موافقة بريطانيا على تغيير اسم الحزب ليصبح جمعية إسلامية مسيحية في حيفا (جريدة فلسطين، ع 41، 21/ 01/ 1919م) .ويُشار هنا إلى أن هذا التحول لابد أن يتبعه– ولو قليلاً– تحول في الفكرة السياسية للقيادات السياسية في الحزب العربي الموالي لبريطانيا، فانتقالهم إلى الجمعية الإسلامية المسيحية يعني موافقتهم على برنامج هذه الجمعية، والذي لم يكن موالياً لبريطانيا، أو على الأقل لم يكن قريباً منها كالحزب السابق.

إن توحيد فكر القيادات المسيحية كافة في تجمع سياسي واحد وهو الجمعية الإسلامية المسيحية كان بمثابة ضربة لمهندسي السياسة البريطانية التي حاولت جاهدة شق الصف الفلسطيني من بوابة القيادات المسيحية، حيث إن مشاركة القيادات المسيحية والإسلامية كافة في مؤتمر استطاع انتخاب جهة سنسميها ولو بأقل التسميات التنظيمية هيئة موحدة، ويعد ذلك انتصاراً لما سيصبح أن نطلق عليه الحركة الوطنية الفلسطينية، حيث شملت هذه الجهة عدداً من القيادات المسيحية التي فازت بأعلى الأصوات في دوائر القدس، والناصرة، وبيت لحم (عن هذه الانتخابات أنظر جريدة فلسطين، ع43، 30/ 01/ 1919) .لكن ذلك لا يعني أبداً أن نفترض بأن كل القيادات المسيحية في هذا المؤتمر كانت متطابقة الرأي، أو الفكرة السياسية، أو حتى أن نفترض أن القيادة المسيحية التي كانت قبل بضعة أيام موالية لبريطانيا قد غيّرت من فكرها السياسي تماماً.

ثالثاً- القيادات المسيحية وسلطات الانتداب البريطاني حتى عام 1922م:

انعقد مؤتمر السلم في قصر فرساي بفرنسا عام 1919م، وقدم الفلسطينيون برئاسة الأمير فيصل الذي مثّل العرب مذكرة إلى المؤتمر التي تخص مطالب العرب، وليس عرب فلسطين وحدهم، حيث طالبوا بالاستقلال بمنطقة (الإسكندرون حتى المحيط الهندي) ومن ضمنها فلسطين، وقد تبين أن المذكرة التي شاركت في صياغتها القيادات المسيحية في فلسطين لم تكن هي نفسها التي عرضها الأمير فيصل، أو على الأقل في الشق الذي يتعلق بفلسطين، فقد بدا من مذكرة الأمير أنها صيغت بألفاظ وعبارات لا تعني رفض المشروع الصهيوني ووعد بلفور، إنها أقل من ذلك بكثير (شوفاني، 1981، 363) ، والمقصود هنا إعفاء القيادات المسيحية مما قد يعده الباحثون مهادنة، أو استجابة الأمير فيصل للضغوطات البريطانية عبر مذكرة لا تُعبّر عن الفكر السياسي لدى القيادات المسيحية حتى عقد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919م بأنها كانت على ثوابت نبعت من أفكار الجمعية الإسلامية المسيحية التي نصت على المطالبة باستقلال سوريا المتحدة من طوروس حتى رفح، ورفض الهجرة اليهودية، وأن اليهود أقلية من السكان، وبالأصل هذه هي نصوص

المذكرة التي رفعها الفلسطينيون لتكون جزءاً من مذكرة الأمير فيصل (الكيالي، 1988) .وهذا يعني بلا شك أن الفكرة الوطنية الفلسطينية تجاه حدود وطنية لفلسطين لم يكن قد تطبع بعد في نسيج الفكر السياسي لدى القيادات المسيحية في فلسطين، وكذلك لدى القيادات الإسلامية.

ـ دور القيادات المسيحية في اللجان والوفود الوطنية:

ساد مؤتمر الصلح في باريس كثير من الخلافات بين فرنسا وبريطانيا، وكان الصراع على المنطقة العربية جزءاً من هذا الصراع، لكن يبدو أن فلسطين لم تكن ضمن هذا الإطار الخلافي، ذلك أن الولايات المتحدة لم يعنها بالأمر سوى استمرار الالتزام بوعد بلفور، وعليه فقد دعا الرئيس الأمريكي ولسون إلى إرسال لجنة تقصي حقائق إلى المنطقة وبخاصة إلى سوريا (من ضمنها فلسطين) ووافقت على ذلك بريطانيا وفرنسا اللتان لم تشتركا في اللجنة، لكن المؤتمر وقبل أن تنتهي اللجنة من عملها كان قد أقرَّ ميثاق عصبة الأمم الذي تضمن بنداً لم يسمِّ فلسطين، وهو مبدأ وضع مناطق وشعوب كانت تحت إدارة من هزموا بالحرب تحت انتداب الدول الكبرى لمساعدتها في الاستقلال، ووافق الأمير فيصل على هذه المعاهدة (Winston, 1950, 116)، ويلاحظ هنا الخدعة التي تعرّض لها الوفد العربي، فهذا الأمر لم يسرِ فيما بعد إلا على مناطق عربية ومن ضمنها فلسطين.

لقد مثّل الموقف من لجنة كنغ كراين التي أفرزها مؤتمر الصلح في باريس محطة مهمة في الفكر السياسي للقيادات العربية في فلسطين، ومن بينها المسيحيون، فقبل وصول اللجنة اجتمع عدد من هذه القيادات، وكان على رأسهم يعقوب فراج [(12)] وخليل السكاكيني، واتفقوا على ما يشبه نصوص مبادئ يجب عدم التنازل عنها، أو مفاوضة اللجنة عندما تأتي إلى فلسطين، وأهمها مطلب استقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية، ورفض الوطن القومي لليهود بما يحمل من تفاصيل وعلى رأسها الهجرة اليهودية.وقد نظر الباحثون الصهاينة إلى هذا الاجتماع على أنه اجتماع الثوابت، لما بادر هؤلاء الباحثون إلى تسميته نُسق حركة وطنية فلسطين (Porath, 1969, 102)، لكن في ذلك فصل وتباين بين خطاب الفكر السياسي لعرب فلسطين وما ورد في مذكرة الأمير فيصل، وأن هذه القيادات بدا وأنها لن تعول على بوابة الوحدة العربية، أو على الأقل أنها تعمل لوحدها، وكذلك كان التطور الأهم هو مشاركة المسيحيين كقيادات في هذا النسق الذي يعد لأول مرة في عقده منذ زمن كممثل لعرب فلسطين.

شاركت القيادات المسيحية في صياغة الكيفية التي سيتم فيها استقبال عرب فلسطين للجنة كينغ كراين، فقد عُدّت المظاهرات الشعبية في مارس 1919م الأضخم في فلسطين

حتى ذلك العام، حيث عمّت جميع أنحاء فلسطين تقريباً، وكانت المظاهرات مميزة في كل المدن الكبيرة، حيث استجابت لبيان الجمعية الإسلامية المسيحية الذي يتضمن المطالب الوطنية والدعوة لهذه المظاهرات، هذا البيان الذي شاركت في صياغته القيادات المسيحية، وكانت المظاهرة الأهم هي تلك التي خرجت من المسجد الأقصى، وتقدمها من باب السلسلة القيادات المسيحية، ومعهم حشد مسيحي شعبي، وكما تصفه المصادر المسيحية بأنه تعانق بيرق شباب باب حطة وبيرق شباب الأرثوذكس العرب، وأن أحد القادة المسيحيين هو الذي سلّم مذكرة إلى القنصليات التي توجهت إليها المظاهرة، وهي: الفرنسية، والأمريكية، والإيطالية، والبلجيكية (الغوري، 1973، 38) .ويبدو أن القيادات المسيحية أرادت من خلال هذه المشاركة المميزة التعبير لبريطانيا عن الموقف المميز والجديد للمسيحية في فلسطين تجاه سياستها المناهضة للمشروع الصهيوني.

لقد أقرت لجنة كينغ كراين بأن كافة العرائض التي قُدمت لها من عرب فلسطين لم تشذ ولم تختلف في نظرتها الرافضة للبرنامج الصهيوني والهجرة اليهودية، هذا على الرغم من إشارتها إلى أن الموقف من مصير الحكم قد شابه بعض الاستثناءات وصفها التقرير بالطفيفة (زعيتر، تقرير لجنة كينغ كراين) .وهنا يمكن الاستنتاج بأن اللجنة كانت تراهن وبمساعدة بريطانيا على أن يكون هناك خلاف بين عرب فلسطين عائلات، أو طوائف، أو جمعيات على البرنامج الصهيوني، وهذا ما لم يحصل، وإنما ذلك نجاح لأداء القيادات الإسلامية المسيحية، فقد كانت هناك بعض الأندية والجمعيات كبلديات الناصرة، وبيت لحم مثلا مسيحية بالأكثرية، لكن ذلك لم يعفِها من أن تحمل الفكرة الوطنية نفسها لعرب فلسطين.

تنبهت القيادات المسيحية للاختلاف الطفيف الذي ورد في العرائض التي قدمت للجنة كنغ كراين، وكانت مشورتهم للسيد موسى كاظم الحسيني لتقديم مذكرة للجنة، وبما يفيد بإحالة أي سؤال يتعلق بمصير الحكم إلى المؤتمر السوري في أثناء انعقاده في دمشق (زعيتر، مذكرة إلى لجنة كنغ كراين مقدم من موسى كاظم الحسيني) ، وهذا يعني أن القيادات المسيحية قد شاركت وبفعالية حتى في صياغة التفاصيل تجاه القضايا المهمة، والتي كان التعامل الوطني مع لجنة كنغ كراين من أهم القضايا.

استمرت القيادات المسيحية بالمشاركة الفاعلة في الدفاع عن ما يمكن تسميته بالمشروع الوطني، لم لا وقد بدا واضحاً سلوك بريطانيا بعد ثلاثة أعوام تقريباُ من احتلالها لفلسطين بأنها مصرة على الوقوف إلى جانب المشروع الصهيوني عبر تأكيدها على الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وقد كان الانتداب حلقة من حلقات تنفيذ هذا الوعد، وأن مؤتمر سان ريمو سيُعقد في أبريل 1920م، وكان واضحاً أن أهم قراراته ستكون إقرار

التفاصيل المتعلقة بالانتداب على شعوب المنطقة العربية، والذي أثّر بشكل عام في مؤتمر السلم عام 1919م.

لقد كان الانتداب على فلسطين ضمن صفقة تتعلق بتوزيع مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا مرة أخرى في تجاوز لخلافات اتفاقية سايكس بيكو، وهذه المرة مختبئة وراء ما يسمى بالانتداب، حيث أقرً المؤتمر الانتداب البريطاني على فلسطين (Britsh Policies, 1964, 112)، **ولكن كيف فكرت القيادات المسيحية في التعامل مع قرار مؤتمر سان ريمو الخاص بهذا الانتداب؟**

لقد تنبهت القيادات الفلسطينية لضرورة عمل شيء ما قبل انعقاد المؤتمر، وكان ينبغي تشكيل وفد من عرب فلسطين، إلا أن بريطانيا رفضت ذلك، وتم عقد اجتماع أسفر عن بيان شارك في صياغته القيادات المسيحية، وحمل توقيع الجمعيات الإسلامية المسيحية، حيث احتج على نوايا فرض الانتداب، وعدم فصل فلسطين عن سوريا، والهجرة اليهودية، وانتقال الأراضي (السفري، 1937، 276) .ويمكن هنا ملاحظة اللهجة الشديدة في هذا البيان، ما يعني أن هذه القيادات تكاد تكون متأكدة من أن المؤتمر سيسفر عن إقرار الانتداب، وقد كانت نظراتهم هذه صحيحة، إضافة إلى أن هذا البيان قد حمل توقيع الغالبية العُظمى من الجمعيات الإسلامية المسيحية.

مثّل عام 1920م بوادر الانتقال المنظم للأراضي للحركة الصهيونية بمؤازرة من السلطات التي أصبح بمفهومها هي سلطات انتداب لمساعدة الشعوب، إنما كانت في فلسطين تنقل الأراضي للمهاجرين اليهود، ويعود ذلك لعوامل عدة أهمها: أن الحركة الصهيونية كانت تولي أهمية خاصة لانتقال الأراضي، فهذه الأخيرة والهجرة هما رحم نشاط الحركة الصهيونية، إضافة إلى أن هذا العام مثّل نشاطاً مميزاً لتلك المؤسسات، والتي تشكلت بعد عام 1904م، ووجدت مساحة للعمل والنشاط تحت أجواء الاحتلال البريطاني لفلسطين وقدوم المندوب السامي.

استمرت القيادات المسيحية تؤمن بمبدأ العمل السلمي حتى عام 1922م، ولم تفقد الأمل في إقناع بريطانيا بوجهة نظرها، وكانت تشجع على إرسال وفد إلى لندن، وربما ذلك– أيضاً– بتأييد من المصريين، وبخاصة بعد الإعلان عن أن البرلمان البريطاني سيناقش صك الانتداب في مايو 1921م، وبالفعل سار الوفد، وكان يضم عدداً من القيادات المسيحية، ونجح في مقابلة رئيس وزراء بريطانيا ولسون تشرشل، لكنهم قوبلوا برفض الأخير لوجهة نظرهم، وطرح عليهم البديل، وهو التباحث مع حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية آنذاك، ولم يكن رد بقية المسئولين البريطانيين مغايراً، أو بعيداً عن موقف

رئيس وزراء بريطانيا، واكتفى الوفد بإقناع بعض أعضاء البرلمان بوجهة نظره (محافظة، 1989، 47) .ويبدو أن القيادات الفلسطينية اصطدمت بخيارات عديدة تدور في فلك التحايل على الأمر، وفي جوهره استمرار للسياسة البريطانية المساندة للبرنامج الصهيوني مثل: دستور فلسطين، والمجلس التشريعي، والتحاور مع المنظمة الصهيونية.

كان تتابع الأحداث وتصعيدها من قِبل بريطانيا كفيلاً بإحداث أجواء من عدم التنظيم في تعامل القيادات العربية في فلسطين معها، ومن ضمنها القيادات المسيحية، وكان التطور في التفكير السياسي أن كانت القيادات المسيحية إلى جانب فكرة الاجتماع مع وايزمان كما ورد في تشجيع رئيس الوزراء البريطاني للوفد الفلسطيني قبل بضعة أشهر، وقد شاركت هذه القيادات في اجتماع الوفد الفلسطيني مع حاييم وايزمان في محاولة لتأجيل رفع بريطانيا لإقرار صك الانتداب أو تصحيح صيغته، لكن كان رد وايزمان برفض أي تغيير أو تعديل لصك الانتداب، وبعد ذلك قدم الوفد الفلسطيني ملاحظاته إلى الحكومة البريطانية التي بالطبع رفضتها مطلقاً، ووضعت الصيغة النهائية لصك الانتداب (Britsh Policies, 1964, 76).ولا يمكن هنا إنكار دور الوفد الفلسطيني فعلاً في إقناع عدد من النواب البريطانيين برفض صك الانتداب ليسهم في قرار المجلس.

صادقت عصبة الأمم على صك الانتداب في قرارها المُحرر في 24/ 07/ 1922م، ولم يكن رد الحركة الوطنية الفلسطينية– إن جاز التعبير– بالحجم الذي سبق المصادقة، فقد لوحظ التراخي من اللجنة التنفيذية العربية، والتي تضم– أيضاً– قيادات مسيحية، حيث طالبت بتأسيس حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي مشكل حسب التمثيل النسبي للسكان (زعيتر، وثيقة رقم 16) ، والملاحظ أن هذه الصيغة لا تختلف عما ورد في الكتاب الأبيض بهذا الشأن.

ويمكن هنا الاستنتاج بأن سلوك بريطانيا ومساندتها للمشروع الصهيوني لم يكن بعيداً عن استفزاز وجدان عامة الفلسطينيين سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين، وفي الوقت الذي كان الفكر السياسي للقيادات المسيحية يراوح مكانه في دائرة مركزها العمل الدبلوماسي المتعلق بالبيانات، والاحتجاجات، والندوات، وما شابه، كان الشباب المسيحي يمتلئون تعبئة ضد الصهيونية، وضد بريطانيا التي تحاول– دائماً– تذكيرهم بأنها تشترك معهم في الدين، حيث دخل عام 1920م وكانت ملامح التطورات الدراماتيكية تطفو على السطح، فالثلاثة أعوام الأخيرة كانت تشهد كل يوم حدثاً جديداً، وكان الواضح منها دعم الصهاينة وتراجع القضية العربية.

ـ توجهات القيادات المسيحية تجاه ثورة 1920م:

صحيح أن الجمعية الإسلامية المسيحية كانت تتمتع باحترام مصدره العامة من عرب فلسطين، وأن تعليماتها كانت غالباً ما تلقى آذاناً صاغية، إلا أن هناك من الشباب العربي من لم يرق له ما يراه من دبلوماسية القيادات، وكان يؤمن بأن السيف أصدق أنباءً من الكتب، فشهدت الأشهر الأولى من عام 1920م مزيداً من الأعمال التي لا ضير من تسميتها بالنضالية أو الجهادية، أهمها: مظاهرة 21/ 2/ 1920م التي ضمت عشرات الآلاف من الشبان المسلمين والمسيحيين، وضمت قيادات مسيحية، وقد توجهت إلى مقر الحاكم العسكري البريطاني في القدس، وقبل وصولها كان الرصاص البريطاني قد حصد عشرات الجرحى.وفي الأول من مارس شنت مجموعتان فلسطينيتان هجوماً على مستوطنات يهودية ثبت أنها كانت تضم بين أعضائها شباناً مسيحيين، فقتلت سبعة من المستوطنين اليهود.وفي الثامن من مارس اشتبك الشبان العرب واليهود على باب أحد الكنائس، فأصيب عشرة من اليهود على الأقل (جريدة فلسطين، 12/ 03/ 1920) ، وهذا يكفي لإعطاء صورة أن هذا الشباب المسيحي قد خرج عن نطاق سيطرة القيادات المسيحية.

لقد اقترب موسم أعياد النبي موسى في الرابع من نيسان وسط هذه الأجواء المشحونة، والتي تعبر عن مدى الإحباط الممزوج بالحماسة الكبيرة للشباب العربي ضد الصهيونية وضد بريطانيا، وليس من تخصص الدراسة التطرق إلى تفاصيل هذا العيد إلا من زاوية دور القيادات المسيحية في هذه الأحداث التي أخذت أهمية كبيرة مثل: تجمع قوافل المحتفلين الآتين من المدن الفلسطينية الأخرى يوماً مركزاً للعيد، وفعلاً عندما اكتملت هذه الوفود بقدوم وفد الخليل إلى باب الخليل كانت ساحة هذا الباب قد تجمع فيها عشرات الآلاف من الشبان العرب، وليس في ذلك غرابة في المشاركة الفعّالة للقيادات المسيحية، ومن ضمن أربعة خطابات ألقيت في هذا الاحتفال كان خطاب القائد المسيحي خليل بيدس (13) أكثرهم حماسة وتحريضاً ضد بريطانيا والصهيونية، والذي قبل أن ينهي خطابه اشتبك الشبان المسيحيون والمسلمون مع مجموعة من اليهود (الطباع، 1991، ج10، ص248) .ويمكن القول هنا إن أحداث الشهرين اللذين سبقا موسم النبي موسى كانت كفيلة بعدم استعداد المحتفلين لسماع أية خطبة لا تتحدث عن معاداة الصهيونية وبريطانيا، وهذا ما ثبت من خلال تعاطيهم مع خطبة أمين الحسيني وخليل بيدس.

ويروي إميل الغوري المشارك في هذه الأحداث أنه وزملاءه المسيحيين تجمعوا في حارة النصارى لينظموا أنفسهم، وأخذوا البيرق من كنيسة مار يعقوب بالقرب من كنيسة القيامة، وانطلقوا بالمئات في مظاهرة حماسية ليساندوا إخوانهم المسلمين في باب الخليل،

وبعض الحارات التي وصلت إليها الاشتباكات (الغوري، 1973، 53) .ومن المستبعد أن يصل هذا العدد من الشبان المسيحيين بدون تحريض من قيادات مسيحية معينة، ما يعني أن تفكير هذه القيادات بدأ يتأثر بالتطورات على الأرض، وربما سيشير إلى تحول معين باتجاه العمل المباشر.

أسفرت أحداث موسم النبي موسى عن مقتل خمسة من اليهود، وجرح ما لا يقل عن مائتين آخرين، واستشهاد أربعة من العرب، وجرح واحد وعشرين، كان منهم ستة من الشبان المسيحيين أصيبوا قبل وصول مسيرتهم إلى باب الخليل، إضافة إلى ما تبع ذلك من أحكام بالسجن على قيادات مسيحية ومسلمة، ومن هذه القيادات: خليل بيدس، وبعض الشبان المسيحيين، حيث حكم عليهم بالسجن لفترات بين ثلاث وخمس سنوات (السفري، 1973، 47 و 68) ، وأن وصف الغوري وغيره يعطي صورة تحمس القيادات المسيحية لإبراز دورهم في هذه الأحداث.

شاركت القيادات المسيحية في العمل الدبلوماسي بشكل فعّال، بل كانت تتصدر– أحياناً– صياغة البيانات، والوفود، وإدارة الجمعيات، وبالذات الإسلامية المسيحية، لكن عند الحديث عن العمل المباشر أو أعمال العنف فلم تكن الصورة كذلك، فلم تشارك تلك القيادات المسيحية في تلك الأنشطة، وكذلك لم تكن مشاركتهم متشابهة من مدينة لأخرى، ولا من وقت لآخر، لكن عندما تكون الأمور تتعلق بعمل انتفاضة أو هبّة جماهيرية بعامة فهنا يكون السباق إلى هذه الأعمال، وفعلاً يمكن القول هنا إن هذه القيادات كانت بفكرها السياسي أسيرة لفكر القيادات الإسلامية، فكثيراً ما كانت تتميز عنهم سواءً أكان بالتهدئة أم بالتصعيد.

تسبب الشيوعيون اليهود في الأول من مايو عام 1921م في وقوع ما أسماه الباحثون العرب بانتفاضة يافا التي أسفرت فيها الاشتباكات بين العرب واليهود عن مقتل ما لا يقل عن 47 يهودياً، وعدد مماثل من العرب، وإصابة المئات من الطرفين، وهنا ظهرت حملات التحريض للقيادات المسيحية للشبان المسيحيين والمسلمين للمشاركة في دعم أهل يافا ومساندتهم، وقد تصدرت القيادات الإسلامية هذه المرة تهدئة العرب، ومناشدتهم التوقف عن أعمال العنف (الطباع، 1991، ج10، 234) ، وبالتالي يمكن إجمال خلاصة الأمر بأن الفترة التي تلت عام 1914م قد شهدت أحداثاً مهمة في فلسطين والمنطقة، وأن القيادات المسيحية في فلسطين قد تأثرت بهذه الأحداث، التي لا نبالغ إنْ قلنا أنها أسهمت إلى حد كبير في صياغة فكر سياسي أكثر من قضية مواقف من أحداث، وقد وجد ذلك تعبيراً له من خلال سلوكهم الذي أخذ نسقاً منظماً، وليس مواقف فردية تعبر عن هذا القائد أو ذاك، بل أن هذا السلوك قد حكمته مجموعة من الأدبيات «مبادئ شعارات منطلقات أهداف» وهذا ما

يثبت أن هناك فكراً سياسياً لهذه القيادات كان يتطور بفعل الأحداث، وأيضاً بفعل الظروف الذاتية والموضوعية التي أحاطت بهذه القيادات.

الخاتمة:

توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج من أهمها:

1. برزت مجموعة من القيادات المسيحية قبل عام 1914م نتيجة الصراعات المذهبية المسيحية، وأن تجاهل طائفة الروم الأرثوذكس، وهي ذات أغلبية في فلسطين، مهّد الطريق لبروز قيادات استطاعت أن تحمل خطاباً وطنياً.

2. إن غالبية القيادات المسيحية في فلسطين أيدت الثورة العربية الكبرى، لكنهم شاركوا مشاركة متواضعة في هذه الثورة سعياً وراء الاستقلال عن الدولة العثمانية.

3. كانت القيادات المسيحية أكثر الطوائف في فلسطين ابتهاجاً باحتلال بريطانيا لفلسطين في بداية الأمر، ولكن سرعان ما تغير هذا الموقف عندما اكتشفوا سياسة بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني في فلسطين.

4. فشلت بريطانيا مبكراً في فصل القيادات المسيحية عن الخطاب الوطني، الذين اكتشفوا الأساليب كافة التي انتهجتها بريطانيا لتفضيل المسيحيين عن المسلمين على الرغم من تدخل البابا نفسه في هذا الأمر.

5. شاركت القيادات المسيحية في تشكيل إطار أصبح، ولمدة معينة، ممثلاً لعرب فلسطين، وهو الجمعية الإسلامية المسيحية، ولوحظ تأييد غالبية عرب فلسطين لهم.

6. أدت الأحداث المتوالية منذ عام 1914م إلى صياغة الفكر السياسي للقيادات المسيحية، وتطوره، وبخاصة في الإصرار ولفترة معينة على الوحدة مع سوريا، والحفاظ على الثوابت في مقاومة الانتداب البريطاني والصهيونية، و في رفضهم فكرة الوطن القومي والهجرة اليهودية.

7. مثّلت القيادات المسيحية جزءاً من توجه الشعب الفلسطيني بممارسة العمل النضالي المباشر، وتمثل ذلك في مشاركة بل تزعم بعضهم لأحداث احتفالات النبي موسى وأحداث يافا.

وعليه توصي الدراسة بما يأتي:

1. أن تتيقظ الحركة الوطنية الفلسطينية من محاولة إسرائيل والغرب من تفضيل المسيحيين، وسلخ قياداتهم عن قيادات الشعب الفلسطيني.

2. توثيق آراء القيادات المسيحية في فترة الانتداب البريطاني، وذلك لتحليل سلوكهم لمعرفة تطور الفكر السياسي لديهم خلال تلك الفترة.

3. الحفاظ على وحدة الطوائف المسيحية عبر زيادة الوعي السياسي والوطني لقيادات الطوائف، وأن لا يكون الخلاف الطائفي عاملاً سلبياً في الحركة الوطنية الفلسطينية.

4. أن تدرك القيادات المسيحية أن التمسك بالإطار الوطني كدائرة مهمة هو من أكثر الدوائر المدنية في إبراز فكرهم السياسي.

5. تعزيز الوحدة الوطنية، والعمل على تقوية النسيج الاجتماعي الفلسطيني بين المسلمين والمسيحيين.

الهوامش:

1. جيمس فن James Finn: هو القنصل البريطاني في القدس 1845 – 1863م، وتعد مذكراته مهمة؛ لأنه تكلم عن التغلغل الأوروبي، وتنافس القناصل الأوربية على هذا التغلغل. انظر: (Encyclopedia Judaica, 1972,vol 16) .
2. موسى كاظم الحسيني: مواليد القدس 1853م، تعلم في استنطبول وتم تعيينه عام 1918م رئيساً لبلدية القدس، وقاد مظاهرات عام 1920م، أقاله الحاكم العسكري البريطاني وعين راغب النشاشيبي مكانه، أنظر: (جبارة، 1995، 116) .
3. خليل السكاكيني: أديب فلسطيني مسيحي دعا إلى تعريب الكنيسة، تعرض للسجن من قبل السلطات التركية، وشارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م. انظر (السكاكيني، 1972، 7 – 10) .
4. ايميل الغوري: مسيحي فلسطيني ينحدر من أسرة وطنية، ولد وعاش في القدس، وشارك في عدد من الوفود الوطنية، وكان مقرباً من الحاج محمد أمين الحسيني، أنظر: (الغوري، 1973، 9 – 12) .
5. عزت طنوس: مسيحي فلسطيني وهو طبيب، انتدبته الهيئة العربية العليا عقب الحرب العالمية الثانية لتمثيلها في الأمم المتحدة، شارك بوفود فلسطين المختلفة أثناء فترة الانتداب، انظر: (طنوس، 1982، 13 – 15) .
6. حاييم وايزمان: يهودي صهيوني روسي، خلف ثيودور هرتسل في رئاسة الحركة الصهيونية، وكان له دور كبير في استصدار وعد بلفور، وترأس إسرائيل في الفترة من 1949 – 1952م، انظر: (وايزمان، 2009، أنظر تقديم الكتاب ص 3 – 9) .
7. إدموند اللنبي Edmund Allenbi، قائد بريطاني لقوات بلاده في مصر، وكان له دور مهم أثناء الحرب العالمية الأولى، وانتصر في معركة غزة الثالثة، ودخل القدس، وبعد تقاعدة عمل مندوبا ساميا في مصر، انظر: (16-11,Porath, 1969) .
8. نجيب نصار: أديب وصحفي لبناني الأصل، استقر في حيفا بفلسطين، ولقب بشيخ الصحافة الفلسطينية، وكان من رواد مناهضي الحركة الصهيونية، أسس صحيفة الكرمل 1908م وتخصصت بالكتابة عن صفقات بيع الأراضي لليهود، توفي عام 1948م ودفن في مدينة الناصرة، انظر: (نصار، 2012، 14 – 25) .
9. محمد أمين الحسيني: قائد فلسطيني من مواليد القدس، ينتسب لعائلة وطنية معروفة، ترأس الأوقاف الفلسطينية في القدس، وكذلك تزعم الحركة الوطنية الفلسطينية، للمزيد:

انظر (جبارة، 1995، 16 – 22) .

10. بولس شحادة: مسيحي فلسطيني، مواليد رام الله 1882م، وكان معلماً للغة العربية، ومن الوطنيين، حيث حكمت عليه السلطات التركية عدة أعوام، وهو من الذين أسسوا الصحافة في عهد الانتداب، أنظر (الحوت، 1974، 215) .

11. أنطوني الغوري: مسيحي فلسطيني من مواليد القدس، كان له دور في صراع الطائفة المسيحية، وكان يدعو إلى تعريب الكنيسة، وكان يحمل أفكارا قومية وطنية ضد الدولة العثمانية، ومن أصحاب فكرة الجمعيات الإسلامية المسيحية، انظر: (الغوري، 1955، 32، حيث يتحدث بإسهاب عن والده) .

12. يعقوب فراج: مسيحي فلسطيني، كان مقرباً في البداية من الحاج أمين الحسيني، وكان عضواً في اللجنة العربية العليا، ومعروفاً بمقاومته للانتداب البريطاني والصهيونية، تعرض مرات عدة للاعتقال، انظر: (الحوت، 1974، 113) .

13. خليل بيدس: مسيحي فلسطيني من مواليد الناصرة عام 1874م، حكمت عليه السلطات التركية بالإعدام إبان الثورة العربية الكبرى، وخفف عليه الحكم بالسجن إلى 12 عاماً، أمضى منها حوالي أربعة أعوام، قاوم الانتداب بقلمه وخطاباته الحماسية، انظر: (العارف، 1961، ج3ص136) .

المصادر والمراجع:

أولاً- الوثائق:

1. أرشيف دولة إسرائيل 2/ ن/ 155، قرار الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، 20/ 2/ 1919م.
2. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (7) ، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
3. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (11) ، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
4. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (16) أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
5. عبد الوهاب الكيالي، وثائق المقاومة الفلسطينية، ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1988م.

ثانياً- المراجع:

1. آرييه أفنيري: دعوى نزع الملكية- الاستيطان اليهودي والعرب في الفترة من 1878 – 1948م، ترجمة: بشير البرغوثي، ط1، دار الجليل، عمان، 1986م.
2. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1981م.
3. إميل الغوري:
4. المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين وحق العرب، ط1، القاهرة، دار العلم للملايين، 1955م.
5. فلسطين عبر ستين عاماً، ط1، مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1973م.
6. تاريخ القضية الأرثوذكسية- نضال مستمر منذ 500 عام، ط1، رسائل محددة، (ب. ن) ، عمان، 2009م.

7. بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948م، ط3، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1974م.

8. تيسير جبارة، الحاج أمين الحسيني، ط1، دار الفرقان، إربد، 1995م.

9. جورج أنطونيوس: يقظة العرب– تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة وتحقيق: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

10. حاييم وايزمان: مذكرات قادة الدولة الصهيونية، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة، 2009م.

11. خليل السكاكيني:

12. كذا أنا يا دنيا، ط1، المطبعة التجارية، القدس، 1955م.

13. مذكرات خليل السكاكيني 1953–1978م رواد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين، ط1، (ب. ن) ، القدس، 1972م.

14. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط1، مكتبة الأندلس، القدس، 1961م.

15. عزت طنوس، الفلسطينيون ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، جزءان، ط1، مركز الأبحاث– منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1982م.

16. علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918 – 1948م، ط1، مركز الكتب الأردني، عمان، 1989م.

17. عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط1، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، بيروت، 1973م.

18. مصطفى الطباع، بلادنا فلسطين، ط1، 10ج، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، 1991م.

19. محمد عزة دروزة، مذكرات سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن، 1887 – 1984، ط 1، دار العرب الإسلامية، عمان، 1980م.

20. نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة: أحمد أبو ملحم، (ب. ط) ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1975م.

21. نجيب نصار، الصهيونية، ملخص تاريخها، وغايتها، وامتدادها حتى سنة 1915م، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

ثالثاً- الدوريات والندوات:

1. جريدة فلسطين، صحيفة فلسطينية كانت تصدر في فلسطين منذ عام 1911م (الأعداد) : ع41، 21/ 01/ 1919م، ع43، 30/ 01/ 1919م، ع101، 12/ 03/ 1920م.
2. جورج الداوود، المسيحيون في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ضمن ندوة القدس بمناسبة احتفالية الأردن بالقدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009م، عمان، 2009م.
3. سارة فايز، العلاقات الإسلامية المسيحية، مجلة الأسوار، ع16، عكا، 1997م.

رابعاً- المراجع الأجنبية:

1. *Bernard Sabella, Palestinian Christians: Challenge and Hopes, Bethlehem University, 2005.*
2. *British Policies, Palestine: A Study of Jewish, Arab, Esco Foundation for Palestine, London, 1964.*
3. *Churchill, Winston: The Second World War, vol. 3, The Grand Allinance, London, Cassed and ltd, 1950.*
4. *Encyclopedia Judaica, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.*
5. *Gonny: Zionist and The Arabs 1882- 1948, Oxford, Clarendon Press,1987.*
6. *Kate Maguire, The Judaization of Jerusalem, Dar Al- Afuq Al- Jadide, Beirute, 1981.*
7. *Yowshaa Porath, The Emergency of the Palestine National Movement 1918- 1929, Frank Cass, 1969.*